

فبشر عبادي الذين يستمعون القول  
فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم  
الله واولئك هم اولو الالباب

المسألة  
١٣١٥

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت  
الحكمة فقد اتى خيراً كثيراً وما  
يبكى الا اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق )

( مصر في يوم الخميس ضرة ذى الحجة سنة ١٣١٥ - ٢٩ مارث ( اذار ) سنة ١٩٠١ )

## مسئلة الغرائيق . وتفسير الآيات

تمهيد . مصارعة الحق والباطل . رفع الاسلام مقام الانبياء وحكمه بمصنهم .  
عبث عشاق الروايات وفسادهم في الدين . الروايات واختلافها في مسئلة الغرائيق .  
مخالفة المحققين لها . الرجوع الى اهل العلم الصحيح في ازالة الخيرة . الطعن في رواية  
تفسير التمني بالقراءة . الطعن في حديث الغرائيق رواية . الطعن فيه دراية . عصمة  
الانبياء . الوجوه الدالة على بطلان حديث الغرائيق . تفسير الآيات على الوجه الموافق  
لأسلوب القرآن المنطبق على العقائد الصحيحة . السياق وسابق الآيات . التفسير  
الاول وفيه المقابلة بين الآيات وآيات سورة آل عمران في المحكمات والمتشابهات .  
التفسير الثاني . امانى الانبياء . سنة الله فيهم وفي اقوامهم . تأويل ثالث . وسواس  
الشیطان . اللغات في الغرنوق ومعانيه . عدم ملائمة معانيه لوصف الآلهة . انتفاء  
نقل ذلك عن العرب . الجزم بان الحديث من وضع الاعاجم .

حديث الغرائيق صار مشهوراً عند المتأخرين لوجوده في كثير من  
كتب التفسير التي تناولها الايدي ولو صح لكان أكبر شبهة على الدين  
ولكن المقلد البحث الذي لا نظار له لا يبالي بالشبه ويقبل كل نقل ، وان

كان الفرع فيه ينفي الاصل ، وطلاب العنت يتشبثون بأهداب الشبه فيجعلونها معاول تهدم الاركان الثابتة ، وتنفي القضايا المبرهنة . ولذلك كثير الطعن في هذه الايام ، بدين الأسلام ، من دعاة النصرانية ، وبعض الممتونين بالشبه المادية ، واقوى تكأة لهؤلاء الطاعنين ماقاله بعض المفسرين في مسئلة زيد وزينب وفي مسئلة الغرائق ومسئلة أخرى . ولما كان كشف الشبهات وتخليص الحق من شوائب الباطل على وجه شق به النفوس ، وتطمين اليه القلوب ، من وظائف أئمة الدين ، واكابر العلماء الراسخين ، لجأ قوم الى حكيم الاسلام في هذا العصر ، وامام المسلمين في كل بادية ومصر ، مولانا الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ، في أن يجلي لهم الحق في المسئلة الاولى فاجاب ، بما هو الحكمة وفصل الخطاب ، ونشرناه في المنار ، ليشتهر في الاقطار ، ثم سأله آخرون في هذه الايام عن الثانية . فاجاب بما أزال الالتباس ، ومحص ما في صدور الناس ، جمل المسئلة أولا موضوع درس في الازهر حضره الجماهير ، والجلم الفقير ، ثم كتبها لتنشر في المنار ، وتناقل في الامصار ، وهالك ما جاء من فضيلته ، بنصه وعبارته :

« وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيه فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم . ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرضٌ والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد . وليعلم الذين اتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم . ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب

يوم عقيم «

قد يجد الباطل انصاراً ، فيتبوأ من نفوسهم داراً ، ويتخذ له منها قراراً ،  
وتذهب على ذلك الايام بعد الايام ، وتمضي عليه الاعوام إثر الاعوام ،  
وهو يلعب بأهله ، وينقلب اهواءهم بحيله ، حتى يقصروا نظرهم عليه ، ولا  
يجدوا ملجأً منه الا اليه ، فاذا أوتوا من ناحيته رضوا ، واذا عرض لهم  
الحق اعرضوا ، ولا يزالون كذلك الا أن تنحل به عراهم ، وتفسد بعاله  
قواهم ، والحق لا يزال يعرض نفسه ، يستخدم سرّة لينة واخرى بأسه ،  
وهو الشاب الذي لا يهرم ، والعامل الصبور الذي لا يسأم ، وانما يعرض  
بوجهه عن الاغبياء ، ويؤلى ظهره الاشقياء ، ثم لا ينفك يرحمهم ، ولا  
يرح يتعهدهم ، يسهر عليهم محيآه ، ويرسل اليهم اشعة من سناه ، فاذا وافاهم  
وقد وهنت متنتهم ،<sup>(١)</sup> ومرهت عيونهم ،<sup>(٢)</sup> وحلك ليلهم ، واشتد خبلهم ،  
صاح بهم منه صالح ، ورحمهم من جنده راح ،<sup>(٣)</sup> فقلق بالباطل مكانه ،  
وزلزات من حوله اركانه ، وفرع يطلب النصير ، وثار يلتبس الحجر ، فلا  
يجد الا اسباباً تقطعت به ، وأعضاداً فتّ فيها بسبيته ،<sup>(٤)</sup> وقد رنق قومه ،<sup>(٥)</sup>  
وعبس يومه ، فيحملق الى الحق يأخذه ببصره ، ويستنزله بنظره ، ولكن  
خاب الظن ، وبطل الفن ، ثم لا يلبث وهو الباطل ان يتحول عنده اليأس  
املاً ، ويجد من اليبس بللاً ، فيظن وهو هو ان الحق ناصره ، وان

(١) المن جمع منة بالضم وهي القوة (٢) مرهت العين خات من الكحل او  
فسدت لتركة (٣) رجع طفته بالرجح . والراح ذوالرجح (٤) الفت اللق والكسر  
بالأصابع ويقولون « فت في تضده » اذا كسر قوته وفرق عنه انصاره (٥) رنق  
القوم بالمكان (بتشديد النون) اقاموا وفي الامر خلطوا الرأي والطار خفق بخناحيه  
ورفرق ولم يطر

ستقوى به او اصره ، فيستنصر بجنده ، ويطلب النجدة من عنده ، واقرب ما يكون خصم الى الهلكة اذا اطمان الى عدوه ، وامل الخير في دنوه ، هذا شأن الباطل واهله ، مع تقبله في مله ونحله ، يعلم كل ناظر في كتابنا الالهي ( القرآن ) ما رفع الاسلام من شأن الانبياء والمرسلين ، والمنزلة التي احلهم من حيث هم حملة الوحي وقدوة البشر في الفضائل وصالح الاعمال وتنزيهه ايام عمارة ما به اعداؤهم وما نسبة اليهم المعتقدون بأديانهم . ولا يخفى على احد من اهل النظر في هذا الدين القويم انه قد قرر عصمة الرسل كافة من الزلل في التبليغ والزيغ عن الوجهة التي وجه الله وجوههم نحوها من قول او عمل وخص خاتمهم محمداً صلى الله عليه وسلم فوق ذلك بمزايا فصلت في ثنايا الكتاب العزيز عصمة الرسل في التبليغ عن الله اصل من اصول الاسلام شهد به الكتاب وايدته السنة واجمعت عليه الامة . وما خالف فيه بعض الفرق فانما هو في غير الاخبار عن الله وابلغ وحيه الى خلقه . ذلك الاصل الذي اعتمدت عليه الاديان حق لا يرتاب منه ملي يفهم ما معنى الدين مع ذلك لم يعدم الباطل فيه اعواناً يعملون على هدمه وتوهين ركنه اولئك عشاق الروايات وعبداء النقل . نظروا نظرة في قوله تعالى : « وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي » - الآية وفيما روي عن ابن عباس ( رضي الله عنهما ) من أن تمنى بمعنى قرأ والامنية القراءة فمعي عليهم وجه التأويل الحق على فرض صحة الرواية عن ابن عباس فذهبوا يطالبون ما به يصح التأويل في زعمهم فقيض لهم من يروي في ذلك احاديث تختلف طرقها وتباين الفاظها وتتفق في ان النبي صلى الله عليه وسلم عند ما بلغ منه اذى المشركين

ما بلغ واعضوا عنه وجفاه قومه وعشيرته لعيبه اصنامهم وزرأته على آلهتهم  
 اخذه الضجر من اعراضهم ولحرصه على اسلامهم وتهالكه عليه تمنى ان لا  
 ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقاً الى استمالتهم واستنزاهم عن غيرهم  
 وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة « والنجم اذا هوى » وهو  
 في نادى قوله وروى انه كان في الصلاة وذلك التمنى أخذ بنفسه فطفق  
 يقرأها فلما بلغ قومه : ومائة الثالثة الاخرى « ألقى الشيطان في امنيته »  
 التي تمناه ايان وسوس له بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط  
 فمدح تلك الاصنام وذكر ان شفاعتهن ترتجي . فهم من قال انه عندما بلغ  
 « ومائة الثالثة الاخرى » سها فقال : تلك الغرائق العلى . وان شفاعتهن  
 لترتجي . ومنهم من روى ( الغرائقة العلى ) ومنهم من روى ( ان شفاعتهن  
 ترتجي ) بدون ذكر الغرائقة والغرائق . ومنهم من قال انه قال ( وانها  
 لمع الغرائق العلى ) ومنهم من روى ( وانهن لهن الغرائق العلى . وان  
 شفاعتهن لهي التي ترتجي ) ففرح المشركون بذلك وعند ما سجد في آخر  
 السورة سجدوا معه جميعاً

قال ابن حجر العسقلاني : وتعدد الطرق وصحة ثلاثة منها وان كانت  
 مرسلة يدل على ان للواقعة اصلاً صحيحاً . وهذه الاسانيد الصحيحة - في  
 رأيه - وان كانت مراسيل محتج بها من يرغى الاحتجاج بالحديث المرسل  
 بل ومن لا يراه كذلك لانها متعددة يعضد بعضها بعضاً اهـ ولولا خوف  
 التحويل لآيت بجميع تلك الروايات ما صح عنده منها وما لم يصح ولكن  
 لا أرى حاجة اليه في مقالي هذا

روى ذلك ابن جرير الطبري وشايبه عليه كثير من المفسرين . وفي

طباع الناس ألفُ الغريب ، والتهافت على العجيب ، فولعوا بهذه التفاسير واتخذوها عقدة إيمانهم حتى ظنوا — وبعض الظن أثم — ان لا معدل عنها ، ولا سبيل في فهم الآية الى سواها ، ونسوا ما رآه جمهور المحققين في تأويلها وذهب اليه الاثمة في بيانها ، حتى نارت نائرة الشبه هذه الايام في نفوس كثير منهم وهم يزعمون انهم مسلمون واحسوا ان ذلك الضرب من التفسير لا يتفق مع اصل العصمة في التبليغ وان فيه من الحجة للمدو ما لا سبيل الى دفعه فلجأوا الى اهل العلم الصحيح يتمسون منهم بيان المخرج مما سقطوا فيه . وتوهموا انهم يقررون لهم ما القوا ، ثم ينقدونهم من الحيرة مع ثباتهم على ما حرفوا ، ولكن ضل رأيهم ، وخاب ظنهم . وسيقامون على المهج ، ويرون الحق ناصعاً البليج

في صحيح البخارى : وقال ابن عباس في « اذا تمنى التى الشيطان في امنيته » : اذا حدثت التى الشيطان في حديثه فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته . ويقال امنيته قراءته « الامانى » يقرأون ولا يكتبون اه فتراه حكي تفسير الامنية بالقراءة بلفظ ( يقال ) بعد ما فسرهما بالحديث رواية عن ابن عباس وهذا يدل على المغايرة بين التفسيرين فما يدعيه الشراح ان الحديث في رأي ابن عباس بمعنى التلاوة يخالف ظاهر المبارة ثم حكايته تفسير الامنية بمعنى القراءة بلفظ ( يقال ) يفيد انه غير معتبر عنده

وقال صاحب الابريز ان تفسير تمنى بمعنى قرأ والامنية بمعنى القراءة مسروي عن ابن عباس في نسخة علي بن ابي طلحة عن ابن عباس ورواها علي ابن صالح كاتب الليث عن معاوية بن صالح عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس وقد علم ما للناس في ابن ابي صالح كاتب الليث وان المحققين على

تضعيفه . اه - هذا ما في الرواية عن ابن عباس وهي اصل هذه الفتنة وقد رأيت ان المحققين يضمنون راويها

واما قصة الغرائق فمع ما فيها من الاختلاف الذي سبق ذكره جاء في تميمها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يظن لما ورد على لسانه وان جبريل جاءه بعد ذلك فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فخرن لذلك فأنزل الله عليه « وما ارسلنا » الآيات تسلية له كما انزل لذلك قوله : « وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك ليفتري علينا غيره واذا لا اتخذوك خيلاً . ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً . اذا لا ذنبك ضعف الحيوة وضعف المات ثم لا تمجدك علينا نصيراً . » وفي بعض الروايات : ان حديث الغرائق فشا في الناس حتى بلغ ارض الحبشة فساء ذلك المسلمين والنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت « وما ارسلنا » الآية . قال القسطلاني في شرح البخاري : وقد طمن في هذه القصة وسندها غير واحد من الأئمة حتى قال ابن اسحق وقد سئل عنها : هي من وضع الزنادقة اه وكفي في انكار حديث ان يقول فيه ابن اسحق انه من وضع الزنادقة مع حال ابن اسحق المعروفة عند المحدثين

وقال القاضي عياض : ان هذا حديث لم يخرج أحد من أهل الصحة ولا رواه أحد بسند متصل سليم وانما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقون من الصحف كل صحيح وسقيم . ثم نقل عن ابي بكر ابن الملاء ما يدل على سقم الرواية واضطراب الرواة فيها وما يقضي عليها بالوهن والسقوط عن درجة الاعتبار . وقال الامام ابو بكر ابن العربي - وكفي به حجة في الرواية والتفسير - : ان جميع ما ورد في هذه

القصة لا أصل له .

قال القاضي عياض والذي ورد في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس اه وقد يكون ذلك ابلاغة السورة وشدة قرعها وعظم وقعها . ثم قال القاضي : قد قامت الحجة واجتمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر أو ان يتسود عليه الشيطان ويشبهه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم أن من القرآن ما ليس منه حتى يُضمه جبريل عليه السلام وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم أو يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمداً وذلك كفر أو سهواً وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبراهين والاجماع عصمته صلى الله عليه وسلم من جريان الكفر على لسانه أو قلبه لا عمداً ولا سهواً . أو ان يشبه عليه ما يليق الملك مما يليق الشيطان أو يكون للشيطان عليه سبيل . أو ان يقول على الله لا عمداً ولا سهواً ما لم ينزل عليه وقد قال الله تعالى « ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين » وقال « إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف المات ثم لا تجدك علينا نصيراً » ( ووجه ثان ) وهو استحاله هذه القصة نظراً وعرفاً وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام ، متناقض الاقسام ، ممتزج المدح بالذم ، متخاذل التأليف والنظم ، ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ومن بحضرة من المسلمين ، وصناديد المشركين ، ممن يخني عليه ذلك . وهذا لا يخني على ادنى متأمل فكيف بمن رجح حله ، واتسع في

باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ، ( ووجه ثالث ) انه علم من عادة المنافقين ، ومعاندة المشركين ، وضمة القلوب والجهولة من المسلمين ، نفورهم لأول وهلة ، وتخليط المدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة ، وتمييزهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة ، <sup>(١)</sup> وارتداد من في قلبه سر من اظهر الاسلام لادنى شبهة ، ولم يحك احد في هذه القصة شيئاً سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل . ولو كان ذلك لو وجدت قرين بها على المسلمين الصولة ، ولأقامت بها اليهود عليهم الحجة ، كما فعلوا مكابرة في قصة الاسراء . قال : ولا فتنة اعظم من هذه البلية لو وجدت ، ولا تشيب للعادي حيثما اشد من هذه الحادثة لو امكنت ، <sup>(٢)</sup> وما ورد عن معاند فيها كلمة ، ولا عن مسلم بسببها بنت شفة ، فدل على بطلها ، واجتثاث اصلها ، ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ، ليلبس به على ضعفاء المسلمين ، ( ووجه رابع ) ذكر الرواة لهذه القصة ان فيها نزلة « وان كادوا ليفتنوك عن الذي اوحينا اليك » الآيات . وهذان الآيتان تردان الخبر الذي رووه لأن الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفترى ولولا ان ثبته لكاد يركن اليهم شيئاً قليلاً . فمضمون هذا ومفهومه ان الله عصمه من ان يفترى وثبته حتى لم يركن اليهم قليلاً فكيف كثيراً . وهم يروون في أخبارهم الواهية انه زاد على الركون والافتراء بمدح الهتهم وانه صلى الله عليه وسلم قال : اقتربت على الله وقتل ما لم يقل . وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له ؛ وهذا مثل قوله تعالى في الآية الاخرى « ولولا فضل الله عليك ورحمته لممت طائفة

(١) الفينة كالليلة الساعة والحين (٢) التشيب تبيح الشعر

منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضر ونك من شيء . قال  
القشيري . واقعد طالبه قريش وثقيف اذ صر بالهتهم ان يقبل بوجهه اليها  
ووعدهه الايمان به ان فعل فما فعل ولا كان ليفعل . قال ابن الباربي  
ماقارب الرسول ولا ركن . انتهى المطلوب من كلام القاضي رحمه الله . وقد  
اورد بعد ذلك كثيراً من القول في توهين الرواية وتكذيبها  
اما ما ذكره ابن حجر من ان القصة رويت مرسة من ثلاث طرق  
على شرط الصحيح وانه ينجج بها الخ ما سبق فقد ذهب عليه كما قال في  
الابريز ان العصمة من العقائد التي يطلب فيها اليقين فالحديث الذي يفيد  
جرمها ونقضها لا يقبل على اي وجه جاء وقد عدّ الاصوليون الخبر الذي  
يكون على تلك الصفة من الاخبار التي يجب القطع بكذبها . هذا لو فرض  
اتصال الحديث فما ظنك بالمراسيل وانما الخلاف في الاحتجاج بالمرسل  
وعدم الاحتجاج به فيما هو من قبيل الاعمال وفروع الاحكام لا في  
اصول العقائد ومما قد الايمان بالمرسل وما جاؤا به فهي هفوة من ابن حجر  
يفقرها الله له

هذا ما قاله الائمة جزاهم الله خيراً في بيان فساد هذه القصة وانها لا  
اصل لها ولا عبرة برأي من خالفهم فلا يعتد بذكرها في بعض كتب  
التفسير وان بلغ اربابها من الشهرة ما بلغوا وشهرة المبطل في بطله لا تنفخ  
القوة في قوله ولا تحمل على الأخذ برأيه

تفسير الآيات

والآن ارجع الى تفسير الآيات على الوجه الذي تحتمله الفاظها وتدل

عليه عباراتها والله اعلم

لا يخفى على كل من يفهم اللغة العربية وقرأ شيئاً من القرآن ان قوله تعالى « وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي » الآيات يحكي قدراً قدر المرسلين كافة لا يعدونه ، ولا يتفنون دونه ، ويصف شئشنة عرفت فيهم وفي امهم . فلو صح ما قال اولئك المفسرون لكان المعنى ان جميع الانبياء والمرسلين قد سلط الشيطان عليهم ، فخلط في الوحي المنزل اليهم ، ولكنه بعد هذا الخلط ينسخ الله كلام الشيطان ويحكم الله آياته الخ . وهذا من اقبح ما يتصور متصور في اختصاص الله تعالى لانيائه ، واختيارهم من خاصة اوليائه ، فلندع هذا الهديان ولنعد الى ما نحن بصدده

ذكر الله لنييه حالاً من احوال الانبياء والمرسلين قبله ليعين له سنته فيهم . وذلك بعد ان قال « وان يكذبوك فقد كذبت قلوبهم قوم نوح وعاد وثمود و قوّم ابراهيم وقوّم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فاملت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير . » - الى آخر الآيات . ثم قال : « قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين . فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم . والذين سمعوا في آياتنا معاجزين اولئك اصحاب الجحيم . وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي » الخ فالقصص السابق كان في تكذيب الامم لانيائهم ثم تبعه الامر الالهي بان يقول النبي صلى الله عليه وسلم لقومه اني لم ارسل اليكم الا لاندركم بما قبلة ما اتم عليه ولا بشر المؤمنين بالنعيم واما الذين يسمعون في الآيات والادلة التي اقيمتها على الهدى وطرق السعادة ليحولوا عنها الانظار ، ويحببوا عن الابصار ، ويفسدوا اثرها الذي اقيمت لاجله ويعاجزوا بذلك النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين اي يسابقونهم ليعجزوهم ويسكتوهم عن القول وذلك

بمعهم بالالفاظ وتحويلها عن مقصد قائلها كما يقع عادة من اهل الجدل والمحاكمة هؤلاء الضالون المضلون هم اصحاب الجحيم . واعتق ذلك بما يفيد ان ما ابتلي به النبي صلى الله عليه وسلم من المماجزة في الآيات قد ابتلي به الانبياء السابقون فلم يبعث نبي في امة الا كان له خصوم يؤذونه بالتأويل والتخريف ويضادون امانيه ويحولون بينه وبين ما يبتغى بما يلقون في سبيله من العثرات . فعلى هذا المعنى الذى يتفق مع ما لقيه الانبياء جميعاً يجب ان تفسر الآية وذلك يكون على وجهين

{ الاول } ان يكون تمنى بمعنى قرأ والامنية بمعنى القراءة وهو معنى قد يصح وقد ورد استعمال اللفظ فيه . قال حسان بن ثابت في عثمان رضى الله عنها :

تمنى كتاب الله اول ليله      وآخره لاقى حمام المقادر  
وقال آخر

تمنى كتاب الله اول ليله      تمنى داود الزبور على رسل

غير ان الالتقاء لا يكون على المعنى الذى ذكره بل المعنى المفهوم من قولك « أقيتُ في حديث فلان » اذا ادخلت فيه ما ربما يحتمله لفظه ولا يكون قد اراده او نسبت اليه مالم يقله تطلاً بان ذلك الحديث يؤدى اليه . ونسبة الالتقاء الى الشيطان لانه مشير الشبهات بوساوسه ، مفسد القلوب بدسائسه ، وكل ما يصدر من اهل الضلال يصح ان ينسب اليه ويكون المعنى : وما ارسلنا قبلك من رسول ولا نبي الا اذا حدث قومه عن ربه او تلا وحياً انزل اليه فيه هدى لهم قام في وجهه مشاغبون يحولون ما يتلوه عليهم عن المراد منه ، ويقولون عليه مالم يقله ، وينشرون ذلك بين الناس

ليعدوهم عنه ، ويعدلوا بهم عن سبيله ، ثم يحق الله الحق ، ويبطل الباطل ، ولا زال الانبياء يصبرون على ما كذبوا وأوذوا وبجاهدون في الحق ولا ينتئون بتعجيز المعجزين ، ولا بهزه المستهزئين ، الى ان يظهر الحق بالجاهدة ، وينتصر على الباطل بالجدلة ، فينسخ الله تلك الشبه ويحتمها من اصولها ، ويثبت آياته ويقررها ، وقد وضع الله هذه السنة في الناس ليميز الخبيث من الطيب فيفتن الذين في قلوبهم مرض وهم ضعفاء العقول بتلك الشبه والوساوس فينطقون وراءها ويفتن بها القاسية قلوبهم من اهل العناد والجاهدة فيتخذونها سندا يتمدون عليها في جدلهم ثم يتحص الحق عند الذين أوتوا العلم ويخلص لهم بعد ورود كل شبهة عليه فيعلموا انه الحق من ربك فيصدقوا به فتخت وتطمئن له قلوبهم . والذين أوتوا العلم هم الذين رزقوا قوة التمييز بين البرهان القاطع الذي يستقر بالعقل في قرارة اليقين ، وبين المغالطات وضروب السفسة التي تطيش بالفهم ، وتطير به مع الوهم ، وتأخذ بالعقل تارة ذات الشمال واخرى ذات اليمين ، وسواء ارجعت الضمير في « أنه الحق » الى ما جاءت به الآيات المحكمة من الهدى الالهي أو الى القرآن وهو أجلها فالمعنى من الصحة على ما يراه اهل التمكين .

هؤلاء الذين أوتوا العلم هم الذين آمنوا وهم الذين هداهم الله الى الصراط المستقيم ، ولم يجعل الوهم عليهم سلطاناً فيجيد بهم عن ذلك النهج القويم . واما الذين كفروا وهم ضعفاء العقول ومرضى القلوب او اهل المناد وزعماء الباطل وقساة الطباع الذين لا تلين افئدتهم ، ولا تبش للحق قلوبهم ، فأولئك لا يزالون في ريب من الحق او الكتاب لا تستقر عقولهم عليه ، ولا يرجعون في متصرفات شؤونهم اليه ، حتى تأتي ساعة هلاكهم

بفتة فيلاقون حسابهم عند ربهم . أو ان امتد بهم الزمن ، وما دامهم الاجل ،  
فيصيبهم « عذاب يوم عقيم » يوم حرب يسامون فيه سوء عذاب القتل  
او الاسر ، ويقذفون الى مطارح الذل وقرارات الشر ، فلا يُنتج لهم من  
ذلك اليوم خير ولا بركة ، بل يسلبون ما كان لديهم ويساقون الى مصارع  
الهلكة ، وهذا هو العقم في اتم معانيه وأشأم درجاته  
ما اقرب هذه الآيات في مغازيها الى قوله تعالى في سورة آل عمران  
« هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر  
متشابهات . فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة  
وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله . والراسخون في العلم يقولون آمنا به  
كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الاباب » وقد قال بعد ذلك :  
« ان الذين كفروا لن نُغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئاً وأولئك  
هم وقود النار » ثم قال : « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم  
وبئس المهاد » الخ الآيات . وكأن احدى الطائفتين من القرآن شرح  
للاخرى . فالذين في قلوبهم زيغ هم الذين في قلوبهم مرض والقاسية  
قلوبهم . والراسخون في العلم هم الذين أتوا العلم . وهؤلاء هم الذين  
يعلمون انه الحق من ربهم فيقولون آمنا به كل من عند ربنا فنحبت له  
قلوبهم وان الله لهاديتهم الى صراط مستقيم . وأولئك هم الذين يفتنون  
بالتأويل ، ويشغلون بقال وقيل ، بما يلقي اليهم الشيطان ، ويصرفهم  
عن صرامي البيان ، ويميل بهم عن محجة الفرقان ، وما يتكئون عليه  
من الاموال والاولاد لن يغني عنهم من الله شيئاً فستوافيهم آجالهم ،  
وتستقبلهم اعمالهم ، فان لم يوافهم الاجل على فراشهم ، فسيعلمون في

هراشهم<sup>(١)</sup> وهذه سنة جميع الانبياء مع اممهم ، وسبيل الحق مع الباطل من يوم رفع الله الانسان الى منزلة يميز فيها بين سعاده وشقائه ، وبين ما يستقيه وما يذهب ببقائه ، وكالا مدخل لقصة الغرائق في آيات آل عمران لا مدخل لها في آيات سورة الحج : هذا هو الوجه الاول في تفسير آيات « وما ارسلنا » الى آخرها على تقدير ان تمنى بمعنى قرأ وان الامنية بمعنى القراءة والله اعلم

( الوجه الثاني في تفسير الآيات ) ان التمني على معناه المعروف وكذلك الامنية وهي افعوله بمعنى المنية وجمعها امنيات كما هو مشهور . قال ابو العباس احمد بن يحيى : التمني حديث النفس بما يكون وبما لا يكون . قال : والتمني سؤال الرب وفي الحديث « اذا تمنى احدكم فليتكثر فانما يسأل ربه » وفي رواية « فليكثر » . قال ابن الاثير : التمني تشهي حصول الامر المرغوب فيه وحديث النفس بما يكون وما لا يكون . وقال ابو بكر : تمنيت الشيء اي قدرته واحببت ان يصير الى . وكل ما قيل في معنى التمني على هذا الوجه فهو يرجع الى ما ذكرنا ويتبعه معنى الامنية

ما أرسل الله من رسول ولا نبي ليدعوا قوماً الى هدى جديد أو شرع سابق شرعه لهم ويحملهم على التصديق بكتاب جاء به نفسه ان كان رسولاً او جاء به غيره ان كان نبياً بعث ليحمل الناس على اتباع من سبقه الا وله أمنية في قومه وهي أن يتبعوه وينحازوا الى ما يدعوهم اليه ، ويستشفوا من دوائهم بدوائه ، ويعصوا اهلوائهم باجابة ندائه ، وما من رسول الا وقد كان احرص على ايمان أمته ، وتصديقهم برسالته ، منه على طعامه

الذي يطعم ، وشرا به الذي يشرب ، وسكنه الذي يسكن اليه ، ويدعو عنه ويروح عليه ، وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك في المقام الاعلى ، والمكان الاسمى ، قال الله تعالى : « فملك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً » وقال : « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » وقال : « أفأنت تُكفرُ الناسَ حتى يكونوا مؤمنين » وفي الآيات ما يطول سرده مما يدل على امانيه صلى الله عليه وسلم بهداية قومه واخراجهم من ظلمات ما كانوا فيه الى نور ما جاء به

وما من رسول ولا نبي الا اذا تمنى هذه الامنية السامية التي الشيطان في سبيله المثرات ، واقام بينه وبين مقصده العقبات ، ووسوس في صدور الناس ، وسلبهم الانتفاع بما وهبوا من قوة العقل والاحساس ، فثاروا في وجهه ، وصدوه عن قصده ، وعاجزوه حتى لقد يعجزونه ، وجادلوه بالسلاح والقول حتى لقد يقهرونه ، فاذا ظهروا عليه والدعوة في بدايتها وسهل عليهم ايذاؤه وهو قليل الاتباع ضعيف الانصار ظنوا الحق من جانبهم وكان فيما القوه من الموائق بينه وبين ما عهد اليه فتنة لهم غلبت سنة الله في ان يكون الرسل من اواسط قومهم او من المستضعفين فيهم ليكون العامل في الازعان بالحق محض الدليل وقوة البرهان وليكون الاختيار المطلق هو الحامل لمن يدعى اليه على قبوله ولكيلا يشارك الحق الباطل في وسائله ، او يشاركه في نصب شراكه وحباله ، انصار الباطل في كل زمان هم اهل الانفة والقوة والجاه والاعتزاز بالأموال والاولاد والعشيرة والاعوان والنرود بالزخارف ، والزهو بكثرة المعارف ، وتلك الخصال انما تجتمع كلها او بعضها في الرؤساء وذوي المكانة

من الناس فتدهلهم عن انفسهم ، وتصرف نظرهم عن سبيل رشدهم ، فاذا دعا الى الحق داع عرفته القلوب النقية من اوضار هذه القواتن ، وفزعته اليه النفوس الصافية والعقول المستعدة لقبوله بخلوصها من هذه الشواغل ، وقتما توجد الاضداد الضعفاء واهل المسكنة . فاذا التف هؤلاء حول الداعي وظافروه على دعوته قام اوئك المغررون يقولون « ما نراك الا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بايدي الراى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين » فاذا استدرجهم الله على سنته وجعل الجدل بينهم وبين المؤمنين سجلاً افتن الذين في قلوبهم مرض من اشياهم ، وافتنواهم بما أصابوا من الظفر في دفاعهم ، ولكن الله غالب على أمره فيحقق ما القاد الشيطان من هذه الشبهات ، ويرفع هذه الموانع وتلك العقبات ، ويبب الساطان لآياته فيحكمها ، ويثبت دعائمها ، وينشئ من ضعف انصارها قوة ، ويخلف لهم من ذلتهم عزرة ، وتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الشيطان هي السفلى ، « فاما الزيد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض »

وفي حكاية هذه السنة الالهية التي أقام عليها الاثياء والمرسلين . تسلية لتينا صلى الله عليه وسلم عما كان يلاقى من قومه ووعدله بأن سيكمل له دينه ، ويتم عليه وعلى المؤمنين نعمته ، مع استنقاتهم الى سيرة من سبقهم . « أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتيكم مثل الذين خلو من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر

الله قريب » هذا هو التأويل الثاني في معنى الآية ويدل عليه ما سبق من الآيات ويرشد اليه سياق القصص السابق في قوله « وان يكذبوك فقد كذبت قبلم قوم نوح » الخ . وانت ترى ان قصة الغرائق لا تتفق مع هذا المعنى الصحيح . وهناك تأويل ثالث ذكره صاحب الابريز واني انقله بحروفه وما هو بالبعيد عن هذا بكثير . قال بعد ذكر اماني الانبياء في امهم وطمعهم في ايمانهم وشأن نبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك على نحو يقرب مما ذكرناه في الوجه الثاني :

« ثم الامة تختلف كما قال تعالى » ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر » فاما من كفر فقد اتى اليه الشيطان الوسوس القادحة له في الرسالة الموجبة لكفره . وكذا المؤمن ايضا لا يخلو ايضا من وساوس لانها لازمة للايمان بالغيب في الغالب وان كانت تختلف في الناس بالقلة والكثرة وبموجب المتعلقات . اذا تقرر هذا فمعنى تمنى انه يتمي لهم الايمان ويحب لهم الخير والرشد والصلاح والنجاح فهذه امنية كل رسول ونبي واتقاء الشيطان فيها يكون بما يليق به في قلوب امة الدعوة من الوسوايس الموجبة لكفر بعضهم ويرحم الله المؤمنين فينسخ ذلك من قلوبهم ويحكم فيها الآيات الدالة على الوحدةانية والرسالة ويبقى ذلك عن وجل في قلوب المناقين والكافرين ليفتنوا به . فخرج من هذا ان الوسوايس تلتق اولاً في قلوب الفريقين مما غير انها لا تدوم على المؤمنين وتدوم على الكافرين » اهـ وانت اذا نظرت بين هذا التفسير وبين ما سبقه تبين الاحق بالترجيح لو صح ما قاله نقلة قصة الغرائق لارتفعت الثقة بالوحي وانتقض الاعتماد عليه كما قاله القاضي البيضاوي وغيره وكان الكلام في التاسخ

كالكلام في المنسوخ يجوز أن يلقى فيه الشيطان ما يشاء ولا يهدم اعظم ركن للشرائع الالهية وهو المعصية . وما يقال في المخرج عن ذلك ينهر منه الذوق ولا ينظر اليه العقل . على ان وصف العرب لآلهتهم بأنها الفرائق العلى لم يرد لا في نظمهم ولا في خطبهم ولم ينقل عن احد ان ذلك الوصف كان جارياً على ألسنتهم الا ما جاء في معجم ياقوت غير مسند ولا معروف بطريق صحيح وهذا يدل على ان القصة من اختراع الزنادقة كما قال ابن اسحق وربما كانت منشأ ما أوردته ياقوت . ولا يخفى ان العُرُوق والعُرُنُق لم يعرف في اللغة الا اسماً لطائر مائي اسود أو ابيض أو هو اسم الكركي أو طائر يشبهه . والعُرُنُق (بالضم وكرنبور وقنديل وسؤال وفردوس وقرطاس وعلابط ) معناه الشاب الابيض الجميل وتسمى الخصلة من الشعر المقتلة العُرُوق كما يسمى به ضرب من الشجر . ويطلق العُرُوق والفرائق على ما يكون في اصل الموسج اللين النبات . ويقال لمة غُرُنُقة وغُرُنُقِيَّة اى ناعمة تفيثها الريح او العُرُوق الناعم المستر من النبات الخ ولا شيء في هذه الممانى يلائم الآلهة والاصنام ، حتى يطلق عليها في فصيح القول الذي يمرض على ملوك البلاغة واصراء الكلام ، فلا اظنك تعتقد الا انها من مفتريات الاعاجم ومختلقات اللبسين ممن لا يميز بين حر الكلام ، وما استعبد منه لضعفاء الاحلام ، فراج ذلك على من يذهله الولوع بالرواية ، عما تقتضيه الدراية ، « ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب »

( الحديث المرسل ) هو الذي سقط من سنده من بعد التابى والجمهور

يتوقفون عن الاحتجاج به لجواز ان يكون الساقط غير صحابي .